

أ.د. محمد أمحزون

ملخص البحث

لله جلا علاه سنن في هذا الكون يجريها على واقع المجتمعات البشرية وحركة سيرها وتغيرها وتبدلها، كما تجري القوانين الثابتة المطردة في عالم الطبيعة.

وهذا الأمر يؤكد لنا حقيقة بديهية وهي: أن هذا الكون بعالمه المتحرك والجامد، الإنسي والطبيعي، يسير وفق تدبير الحكيم العليم، الذي لم يخلق الخلق عبثا وسدى، وإنما لأجل غايات حكيمة بينها في الوحي المنزل للبشر من خلال الرسل، كما نراها في آفاق هذا الكون الفسيح.

ونحن المسلمين يحق لنا أن نفخر بأن السنن عندنا يقينية: لأنها ليست من وضع الإنسان، وإنما نستمدّها من الوحي، من علم الله تعالى المطلق الذي لا يخطئ. وقد بسطها القرآن الكريم، وبينتها السنة الشريفة. والمطلوب منا هو السير في الأرض بالبصر والبصيرة لتدركها ونفهمها ونعتبر بها: أقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين

[آل عمران: 137].

ووجه الإعجاز في هذا الجانب: أن المفهوم القرآني للسنن الاجتماعية يعتبر فتحا عظيما للقرآن الكريم، لأنه أول كتاب عرفه الإنسان أكد على وجود علاقات وروابط بين الأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، التي تعد في الحقيقة تعبيرا عن حكمة الله تعالى وحسن تقديره وبذاته التكويني للساحة التاريخية والاجتماعية.

بينما كان الإنسان قديما يخضع للنظرة العنصرية أو النظرية الخرافية الاستسلامية في تفسير الأحداث التاريخية وحركة المجتمع بوصفها كومة متركمة من الأحداث والوقائع؛ فيفسرها تارة على أساس الصدفة، وتارة على أساس القضاء والمقدر بدون إدراك مغزاها الحقيقي، وبدون التمييز بين أمر الله القدري الكوني وأمره القدري الشرعي. كما أن التفسير اللاهوتي الكنسي للتاريخ والمجتمع يتناول الحادثة نفسها، ويربطها بإرادة الله سبحانه وتعالى قاطعا صلتها بقانون الأسباب.

وهكذا لأول مرة في التاريخ الإنساني، نبه القرآن الكريم العقل البشري إلى أن حركة أي مجتمع محكومة بسنن ثابتة وشاملة ومطردة.

على أن الغربيين المعاصرين وإن اكتشفوا كثيرا من السنن الطبيعية ووظفوها لعمارة الأرض في المجالات العسكرية والمدنية المختلفة. إلا أنهم زهّلوا عن السنن الاجتماعية والتاريخية، ولم يدركوا إلى الآن ولم يفهموا كيف تعمل هذه السنن في واقع المجتمعات البشرية؛ لأنهم قطعوا صلتهم بالوحي، مما جعلهم غير قادرين على فهم حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها ودورها وتشعباتها ووسائل علاجها، ومن ثم لم يحالفهم النجاح في ضبط بنية العلاقات الإنسانية النفسية والاجتماعية في صيرورتها.

وبالتالي فمنهم من لم يؤمن أصلا بالسنن الربانية وأثرها في المجتمعات البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل، ومنهم من يخلط بين السنن الطبيعية والسنن الاجتماعية، ولما يعلم بأن الأولى مجالها الظواهر الكونية، والثانية مجالها المجتمعات الإنسانية.

البحث كاملاً

لتحميل الملف على جهازك ضع المؤشر على عبارة "البحث كاملاً" ثم اضغط على الزر الأيمن للفأرة واختر Save target as